مجلة التغير الاجتماعي *ISSN 2507-7473 المجلد السابع العدد 02 (2022) * ص 93-106

مدينة الجزائر بين التأصيل الإسلامي والنمط الغربي (1830م-1962م)

-مقاربة سوسيوتاريخية-

1 فتيحة شلوق - 2 نجاح سلطان•
1 جامعة بسكرة، chellougfatiha@yahoo.com
2 جامعة بسكرة ، soltane.nadjah@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2019/06/08 تاريخ القبول: 2019/10/26 تاريخ النشر: 2022/12/24

الملخص:

الهوية الوطنية الراسخة في عمق المجتمع الجزائري لا يمكن بأي حال كان أن تمحى، ولأن دلت تلك المباني و الآثار الاستعمارية على طبيعة تتنافى والبيئة الثقافية الطبيعة للجزائر فهي لا تعدو أن تكون شيء من الماضي الذي لا يروق ذكره لأبناء الوطن ففكرة الاستقلال ما كانت لتمحى أبدا من ذهن كل جزائري غيور على وطنه.

العمران الجزائري هو نتاج ثقافة أمة ومهما اختلفت تعابيره وصفاته إلا أنه لا يخرج عن النسق المتعارف عليه من أصالة إسلامية متجذرة في أعماقه لا تمحوها شوائب استعمار ولا أفكار غلاته المتعطشين للتملك، وعليه تبقى الثقافة العربية الإسلامية هي أهم هي الثقافة السائدة في الجزائر لذا كانت الثورة على كل ما هو دخيل عن الثقافة المحلية.

الكلمات المفتاحية: المدينة الجزائرية، التأصيل الإسلامي، النمط الغربي، الاحتلال الفرنسي، السياسة العمرانية

Abstract :

The national identity deeply rooted in Algerian society can not be erased in any way, and because these buildings and colonial monuments show a nature that is incompatible with the natural cultural environment of Algeria, it is nothing more than a past that does not appeal to the people of the homeland. Every Algerian is jealous of his homeland.

Algerian architecture is the product of the culture of a nation and whatever its different expressions and characteristics, it does not deviate from the accepted pattern of Islamic origin rooted deep in the depths of colonialism and the ideas of the yields of the thirst for property, and therefore remains the Arab culture is the most important Islamic culture in Algeria, Everything is exotic about local culture.

***Keywords**: Algerian city, Islamic roots, Western style, French occupation, urban policy*

•**المؤلف المرسل:** نجاح سلطان، **الإيميل:** soltane.nadjah@gmail.com

■ مقدمة:

إن تباين الصور الحياتية للمجتمع الجزائري و تمازج الثقافات مابين تلك التي تأخذنا إلى الماضي الإسلامي التليد والأخرى التي تتجلى فيها صورة المدينة العصرية الأوربية لدلالة على أن هناك العديد من الشعوب قد مرت على هذه البلاد، والعناصر البشرية التي عمرت الأرض، وتركت تراثها الحضاري، بغض النظر عن طريقة وكيفية تواجدها (بشكل استعماري أو غير استعماري)، وقد شكلت المدينة الجزائرية بكل العناصر التي تحويها و الفضاءات التي يتفاعل فيها أفرادها، نمطا يحمل في طياته العديد من الخصوصيات، التي ميزتها على غيرها من الأقطار، والملاحظ لخصوصيات المجتمع الجزائري بأدق تفاصيلها والمتعمق في المعيشة مع أفراده يلمس تمازج ثقافي وحضاري، مابين مجتمع متشبع بالثقافة الإسلامية والتعاليم والتعاملات التي يقتضيها ذلك التأصيل الإسلامي، من خلال العادات والتقاليد، وأسلوب العيش، وهو أمر ليس بالغريب على الانتماء الطبيعي للعالم الإسلامي خاصة في الفترة التي سبقت الاحتلال الفرنسي، أي فترة التواجد العثماني بالجزائر، وفي ذات المكان نجد أن البصمة الاستعمارية موجودة و قد تركت مخلفاتها، كونها عمرت زمنا طويلا، وعليه سنحاول من خلال هذه المداخلة ملامسة المدينة الجزائرية ومعرفة طبيعتها و ما طرأ عليها من تباينات وتغيرات باختلاف الأجناس البشرية والتركيبات العمرانية التي مرت بها من خلال البنية الاجتماعية الثقافية والعمرانية.

فما هي ملامح وتجليات تأثيرات السياسة العمرانية الاستيطانية الفرنسية على المدينة الجزائرية من 1830-1962م؟

انطلاقا من المادة العلمية المتوفرة (مصادر باللغتين) عالجت موضوع مداخلتي هذه وقف المحاور التالية:

- سياسة الاستيطان الأوربي في الجزائر وانعكاساتها على المجتمع الجزائري .
- المدينة الجزائرية وأصالة العمران الإسلامي قبل الاحتلال الفرنسي.
- السياسة العمرانية الفرنسية في الجزائر بين إقصاء الهوية الوطنية و ترسيخ طابع المدينة الأوربية.

1- سياسة الاستيطان الأوربي في الجزائر وانعكاساتها على المجتمع الجزائري.

يُعرف الاستيطان **(colonization)** :على أنه اتخاذ بلد ما موطنا ، أو اعمار الأماكن المهجورة أو البحث في استيطان الجماعات البشرية في الكرة الأرضية من حيث علاقاتهم بالبيئة الجغرافية أو البحث في توزيع الإنسان في رقعة الأرض، ويطلق مصطلح الاستيطان على ظاهرة محاولة القضاء على وطن ودخول عنصر أجنبي بهدف الاستيلاء على قسم من الأرض (الكيالي،1985، ص182).

وقد طبق الاستعمار الفرنسي في الجزائر سياسته الاستيطان، من منطلق إيمانه بترسيخ وجوده في البلاد، وبالتالي لابد له من محاولة طمس معالم المجتمع الحاضر من أجل إيجاد مجتمع أوربي كفيل بالدفاع عن سياسة الدولة التي جلبته من أجل أن يخدم مصالحها وهكذا نجد أن السياسة الاستيطانية الشاملة التي انتهجتها الإدارة الاستعمارية لإيجاد شعب أوربي يعوض الجزائريين، الذين لم تعترف فرنسا لهم حتى بصفتهم الشرعية كشعب بل ولنقُل كإنسان لأن القوانين الإنسانية منعدمة في زمن الحرب في الجزائر بعد مصادرة الأراضي، التي سهلت عليها إقامة مستوطنات جديدة، لأمرٌ جليٌ في تاريخ الاستعمار ، ضف لذلك عمليات التهجير والإجلاء الواسعة النطاق التي تعرض لها الشعب الأعزل نحو الحدود والنفي خارج الوطن التي مست شرائع عدة من المجتمع بتلفيق التهم الباهتة أو بدونها.

إذن فالاستيطان شديد الصلة بالاستعمار، وهو مرحلة موالية له وتمثل حده الأقصى، ولا يتم الاستيطان إلا في بيئة ومناخ استعماري، يشرف عليه ويرعاه وهو ينهب الأرض ويملكها. (نبهان، 2006، ص23)

وبالنظر إلى هذه السياسة نجد أن أول محاولة للاستيطان الرسمي كانت سنة 1832م حيث وصلت لميناء الجزائر سفينة تحمل 400 مهاجر ألماني وسويسري كانوا متهجين إلى العالم الجديد لكن الوكيل المتعاقد معهم تخلى عنهم، وما يدل على تلاعب الفرنسيين بالأرض عديد المراسلات التي كانت موجودة وللتدليل على ذلك نجد مثلا مراسلة الجنرال برو(Bro) من الجزائر إلى شقيقته بباريس بتاريخ 18 فيفري 1834م جاء فيها " تسألينني أين صار الاستعمار أقول لك انه اقتصر حتى الآن على

امتلاك الأرض أننا نلعب هنا على الأرض كما نلعب في البورصة على أسهم مداخيل البن ". (زغلول، 1960، ص99)

النظرة السطحية لمضمون هذا التصريح بإمكانها أن تعطينا تصورا صحيحا لما كانت تعانيه الجزائر من ويلات التقسيم لأراضيها من لدن سماسرة الاحتلال الفرنسي فما بالك إذا ما تعمقنا في التشريعات والقوانين التي كانت تطرح في كل مرة بدافع النهب والسلب .

هذه السياسة المطبقة من طرف الادارة الاستعمارية هي راسخة حقيقة في ذهنية كل فرد أعطته الادارة الاستعمارية حق التصرف في الأملاك العمومية والخاصة، وبالتالي هي نتاج إيديولوجيته في الحياة، قبل أن تكون نتاج لإيديولوجيته في المستعمرات، من خلال التعبير الصادق عن المخزون الثقافي لعقلية الأوربي ونظرته اتجاه الإنسان الجزائري، حيث لا يعترف بشخصيته، وهويته، ويسميه أحيانا بالمسلم الفرنسي، الأهلي،العرب،الشمال الإفريقي إلا أنه لا يسميه الجزائري.(Planchais,1990, p42)

2- المدينة الجزائرية وأصالة العمران الإسلامي قبل الاحتلال الفرنسي.

ظل المجتمع الجزائري ذا طابع ريفي حيث أن 90 بالمائة من السكان قبل 1830م كانوا ينتظمون في قبائل ويعيشون في الريف، بالرغم من وجود دائم لتجمعات سكنية مدنية الطابع،أن هذه السمة المحددة لها دلالتها من حيث بنية التفاعلات الاجتماعية ،والمواقف والأدوار، وطرائق انتظام العلاقات الاجتماعية ضمن النظام الاجتماعي العام الذي ميز المجتمع الجزائري في تلك الحقبة الزمنية. (الهواري، 1960، ص15)

أما عن الأملاك العمومية والخاصة فنجد أنه قبل 1830م كان نظام امتلاك الأراضي في الجزائر يسير وفق للأصول و الشرع الإسلامي وكانت هناك أربعة أنواع من الأراضي : (مارسيل،1959، ص47)

- الأوقاف.
- أراضي الحكومة.

مجلة التغير الاجتماعي *ISSN 2507-7473* المجلد السابع العدد 02 (2022) * ص93-106

- أراضي القبائل .
- الأملاك الفردية.

نلاحظ أن الأوقاف تتصدر القائمة لذا نجد أنه لدى دخول الاستعمار الفرنسي للجزائر كان من أول المراسيم التي أصدرها، أنه عمل على ضم الأوقاف العمومية إلى أملاك الدولية الفرنسية لأن الجزائر كانت من أكثر الدول وقفية في ذلك الوقت. (آجقو ودريدي،على الرابط: http://tafsir.net)

المدينة الجزائرية في ظل الحكم العثماني ظلت محافظة على سماتها الطبيعية المنضوية في إطار الدولة الإسلامية ذات الأبعاد والأطر الدينية المستوحاة من العقيدة خاصة وأن الدارس لتاريخ الجزائر في العهد العثماني يجد أن قدوم الأتراك للجزائر في الحقيقة كان لرد الهجمات الصليبية التي كانت تتوالى على السواحل المغاربية وباعتبار الدولة العثمانية حامية للأقطار الإسلامية فقد حملت لواء الدفاع عن الإسلام والمسلمين حينها وبالتالي فلا غرابة من تجذر التقاليد والأعراف الإسلامية في صبغة المدينة الجزائرية خلال هذا العهد.

فالحضارة العثمانية تعطي الصدارة للعمارة، وهي عمارة تستند إلى المعارف التقنية الضرورية وتتميز بحس تنظيم المكان وتوازن الكتل، تظهر بوضوح الملامح الإسلامية من حيث البساطة وخصائص المجتمع الإسلامي، وقد اعتنى الجزائريين بالمؤسسات الدينية والاجتماعية التي تهدف إلى غرس القيم والأخلاق في نفوس السكان وهي أبرز صفات الحضارة الإسلامية، ومن أهم هذه المؤسسات التي اهتموا بها المساجد، نظرا لدورها الكبير في توجيه سياسة الدولة.(فويال،ب ت، ص8)

عن أهم الفسيفساء الفنية التي ميزت الهندسة العمرانية المدينة الجزائرية في العهد العثماني نجد البلاطات ولوحات البلاطات التي تزين مباني الجزائر بأساليب زخرفيه متنوعة تقوم على أساس الزخارف الرئيسية المعروفة في الفن الإسلامي مثل الزخارف الكتابية والهندسية والنباتية وقد خص الإسلام فن الخط برعاية خاصة لصلته الوثيقة بالعقيدة وتعتبر الكتابة والخط العربي حيثما وجد دليلا على سيادة الإسلام وعظم تأثيره. (لعرج، 1990، ص245-246)

3- السياسة العمرانية الفرنسية في الجزائر بين إقصاء الهوية الوطنية وترسيخ طابع المدينة الأوربية.

مرت مدينة الجزائر في الفترة الاستعمارية بمرحلتين :

- مرحلة الغزو و الاحتلال والتدمير لملامحها ولمعالمها وتشويه شخصيتها حيث هيأ المستعمر الفضاء لبناء مدينة أوربية جديدة على أنقاض المدينة الجزائرية العتيقة.
- مرحلة القطيعة التاريخية التي عاشتها المدينة تحت الاحتلال عندما اضطرت للتأقلم مع نمط غريب مسيطر جلب معه المدينة الغربية.

فكان سعي المحتل إلى ترسيخ سياسة قائمة على إقصاء المجتمع الجزائري و إفراغ المدينة تدريجيا من سكانها الأصليين ليبني بذلك صرحا استعماريا جَسد فيه نظام سياسي واقتصادي جديد ما كان ليتحقق دون الإقصاء و الإفراغ ثم الاحتواء من جديد بطريقة فوضوية سريعة. (ميدان، 2008/2007، ص 15-16)

بالتالي عرفت عملية استقرار المستوطنين الأوربيين بالجزائر تطورا سريعا خاصة في الفترة من 1830م-1851م، بعد تحول المنشات العمرانية بالعاصمة إلى الطابع الأوربي ومنذ 1851م إلى 1872م حد تسارع كبير في عدد المهاجرين الأوربيين بالجزائر نتيجة تطور المشاريع الاستعمارية الكبرى مثل شق الطرق، مشاريع سكك الحديد، فتح الموانئ، بناء العمارات على الطراز الأوربي مما استوجب يد عاملة متخصصة أوربية ، ومنه فان إحصاء عام 1872م يعطي أكر من 245000أوربي منهم أكثر من 130 ألف فرنسي و 71ألف اسباني و18ألف ايطالي و12ألف مالطي وأكثر من 14 ألف من جنسيات أوربية أخرى، وهكذا أصبحت معظم المدن التي استقر بها هؤلاء تحتوي أحياء مدينة ايطالية وأخرى اسبانية وبعضها مالطية تحمل داخلها كل القيم والتقاليد الاجتماعية والثقافية المغايرة لقيم المجتمع الجزائري (قريشي، 2002/2001، ص26-29)

هذا وقد حاول المحتلون فرض رؤيتهم المعمارية في محاولة لطمس المعالم الدالة على البعد الثقافي للهوية المجتمعية لسكانها الأصليين و إحلال معالم فرنسية محلها،وهي ظاهرة شملت المدن

الجزائرية لكن بدرجات متفاوتة مما يدل على عزمهم في البقاء ومسايرة التطور العمراني والتصميمات العمرانية في مجال السكن وفق تصميم ورسم هيكلي معماري وتم الاستعانة في هذا الميدان بمهندسين معماريين فرنسيين فحمل كل معماري أفكار ونمط مدرسته منها الكلاسيكي ، وعصر النهضة،والفن الحديث (صالحي، 2009/2008، ص95)

في اعتقادي الدولة التي تأتي للتعمير والبناء في البلد المحتل، حسب النظرية الاستعمارية، هي دولة تحاول نشر الحضارة في دولة أخرى متخلفة وتراها أقل منها في التمدن والتحضر، لكن الحقيقة هي أن هذه الدولة الاستعمارية تحمل منطقين في البناء، المنطق الأول هو منطق الاستقرار، لأن من يفكر في البناء وتعمير الأرض يحمل نظرة بعيدة الأمد في البقاء على هذه الرقعة الجغرافية، فلا يرى في تعميره إلا حفظا لبقاءه، وأولوية لوجوده، وهو ينظر للأجيال القادمة التي ستخلفه، أي نظرته مستقبلية وليست أنية فقط، أما المنطق الثاني هو منطق الحقد على كل ماهو أصلي في الوطن، فتدنيس المعالم الدينية، وتهديم المباني، وإقامة مستوطنات أوربية على أنقاضها، هو نابع من سياسة حقد عمياء على كل ماهو إسلامي وكل ماهو رمز للهوية الأصلية للشعب.

ومن أجل معرفة الطرق والوسائل المستعملة في التخطيط الفرنسي بالجزائر نتطرق للسياسة المطبقة في كل فترة: (سنوسي، 2011/2010، ص22)

- الفترة من 1830م1919م: تميزت سياسة التعمير بتطبيق مخطط التصفيف والاحتياطات حي أنشأته لجنة معنية وهو مخطط خاص بتنظيم وتصفيف الطرقات وعرضها، المجالات العمومية، المساحات الخضراء، كذا الاحتياطات العقارية الواجب تركها من أجل إنشاء التجهيزات والمعالم ويهتم بمختلف التحصينات.
- الفترة من 1919م1948م: بعد الحرب العالمية الأولى نشأ لأول مرة التخطيط الحضري في فرنسا ومستعمراتها من بينها الجزائر من خلال قانون "كورديناث" الذي طبق خلال 1919-1924م، حي تم إنشاء مخططات التهيئة وتوسيع وتحسين المدن وطبقت في الجزائر من خلال المرسوم المؤرخ في 1922/1/15.

- الفترة من 1948م1962م: بعد الحرب العالمية الثانية تم إلغاء المخطط السابق وتم برمجة مخطط تعمير خاص بالجزائر العاصمة سنة 1948م من طرف وكالة التخطيط حيث تم إنشاء ملف خاص بإحصاء مشاكل التعمير.

فاعتمدت فرنسا في تدعيم مشروعها الاستيطاني على العديد من الوسائل والأساليب من أجل توسيع منظم ومحكم في كافة التراب الوطني الجزائري فباشرت بسن القوانين لتكون عملية المصادرة مقننة وعملت وفق إستراتيجية مدروسة الأهداف لغرس الكيان الاستيطاني فحسب أحد غلاة الاستعمار ''أنه تم تزويد مدينة الجزائر قبل مدينة ""روان"" الفرنسية بقنوات صرف المياه والطرقات ومد الخطوط الحديدية وتزويد المدن بالكهرباء وبناء المدن وغير ذلك، و اقترنت كما عملية توسيع وشق الطرق بزيادة عدد المهاجرين الأوربيين الأمر الذي أدى إلى تنظيم حركة النقل من جهة والى الرغبة في فرض السلم في البلاد وإحكام السيطرة أكثر ما يعني سلامة المستوطنين وهو الأمر الذي يهم فرنسا بالدرجة الأولى (بن أشنهو، 1979، ص103-106)

تجلت ملامح العمران الكلونيالي تدريجياً على مستوى مناطق عدة، فالشريط الساحلي على سبيل الذكر بدا على شكل مجمعات سكنية في مناطق حضرية، مخصصة لهذا الغرض، وقد برز إلى الوجود نسيج عمراني جديد يحمل في معالمه قيماً ومواصفات عمرانية غريبة عن المعالم العمرانية المحّلية،إن المجمعات السكنية الحضرية المشيدة من طرف المستعمر، كانت تقام عموما على محاور أربعة تأخذ شكلا صليبيا ، تتوزع عبره الشوارع الرئيسة التي تتفرع منها شوارع ثانوية، يقيم المستعمر عادة على الجوانب الأربعة : تمثله البنايات الرئيسة: مركز بريدي، ومركز ضرائب، وبنك، ومساحة خضراء، ثم تتبع البنايات السكنية الجماعية والفردية، والمحلات التجارية، ومرافق التعليم...إلخ.

هذا التخطيط كان مستلهماً في الواقع من التقسيم الوظيفي للعمران الغربي، الذي قام على أنقاض العمران العثماني الذي كان سائدا من قبل، في حين التجمعات السكنية في الريف كانت تبدو إما

على شكل منازل واسعة وضياع منفردة، أو متقاربة بمحاذاة الحقول الزراعية، أو قرى استيطانية (فكار، 2013، ص589)

إن الضيعة الريفية التي كان يملكها المستوطن الفرنسي بالخصوص، وبغض النظر عن حجمها وسعتها مستمدة أصلاً من التراث الإغريقي الروماني النهضوي، هذا الإطار المبني والدخيل على الريف الجزائري كثيراً ما كان يظهر الحنان إلى الريف الفرنسي، حيث حلم راود المستوطنين، وأضحى انشغالهم منصباً في امتلاك الضياع والمنازل الفردية المحاطة بالمساحات الخضراء و إن أول ما قام به الاستعمار هو توطين قرى جنينية خاصة بالمعمرين الأوائل، في قلب السهول، بدأت تظهر في الأفق ثنائية مجالية : مجال تقليدي بعمرانه المتواضع ونشاطاته التقليدية، ومجال كلونيالي غريب عن ثقافة و سوسيولوجية العالم الريفي. تعمقت الثنائية المجالية و تجذرت في مختلف المناطق، بدعامة العمليات والإجراءات الاستحواذية للمجال الريفي ويمكن ترتيبها إجمالاً في نمطي الاستيطان. (فكار، 2013، ص590)

هكذا كانت صورة المدينة الحقيقية التي أرادها المحتل وخطط لها بناءا على خلفية استعمارية مجسدا بذلك وجوده في أشكال عمرانية شاهدة على ذلك.

مساعي فرنسا لإيجاد مدينة أوربية جديدة نلمسها في التحولات التي مست القصبة أو المدينة القديمة، نتيجة التهديم، عكس ما كانت عليه في العهد التركي، فقد كانت تتربع على مساحة 50 هكتارا تقلصت بسبب الهدم إلى 18 هكتارا فقط هذا التقلص لم يكن عفويا لأن المحتل أراد إخضاع المدينة للتغيرات والأفكار الأوربية، التي جاء بها في البداية التغيرات كثيرة منذ بداية الاحتلال كان أكثرها في الناحية السفلى للقصبة التي تعتبر أول حي لإقامة الأوربيين، كما استمر الهدم للمنازل والمساجد والأحياء حيث دمر الاحتلال مسجد كتشاوة عام 1832م و ما جاوره و بنى مكانه كنيسة كاثوليكية وحول مساجد عديدة إلى ثكنات ولم يسلم قصر الداي – الجنينة- من الهدم فاختفى تماما عام 1856م وكانت معظم المنازل المدمرة قد هجرها سكانها ، فعاشت المدينة وضعا مأساويا نتيجة المصادرة والسلب والنهب والتجريد وكان من ذلك تدمير اقتصادي واجتماعي فاختفت تدريجيا بعض الحرف المحلية وأصبحت أسواقها مركزا لاستقبال المنتجات الأوربية، كانت

مجلة التغير الاجتماعي *ISSN 2507-7473* المجلد السابع العدد 02 (2022) * ص93-106

عمليات الهدم مقصودة فالاحتلال يبحث عن فضاءات لإسكان الوافدين من المعمرين الأوربيين فقد برزت لاحقا مدينة جديدة غريبة يقطع طرقاتها عربات وتكثر فيها المقاهي. (ميدان،2008/2007، ص16-24)

وللتدليل على هذا الكلام نسوق بعض الشواهد التاريخية فنجد:

- مسجد كتشاوة :حولته السلطة الاستعمارية الى كنيسة عام 1832م بعد تدمير جزء منه .
- مسجد علي بتشين: تحول الى صيدلية ثم تحول الى كنيسة عام 1843م اسمها "notre dames des victores ."
- جامع القصبة البراني:لأنه بني للأجانب (البرانية) سمي كذلك ،تحول لكنيسة في ماي 1839م.

من الأحياء الجديدة التي بناها الاحتلال في مدينة الجزائر شارع الناحية الشرقية للمدينة اسمه شارع ايزلي وكان هذا الشارع يعد الشريان الحي للنشاط التجاري،عليه فقد تعرضت المدينة لتغيرات في الهندسة المعمارية .

ميزة السكن الجزائري عن نظيره الأوربي تتضح من حيث الغرف التي تبدو ضيقة ومحدودة العدد وفي أغلب الأحيان كانت الغرفة هي المسكن الوحيد للعائلة أجمع وهذا الضيق ناجم عن أعمال الهدم والتوسعة في الطرقات من طرف الاستعمار ، أما السكن الأوربي كان واسعا مع مستوى معيشي فخم. (ميدان، 2008/2007، ص27-38)

إزالة الأبراج والحصون، حيث تم هدم برج باب عزون الذي شيد سنة 1661م ونقل ملكية أرضيته الى المؤسسة العقارية وبذلك طمست الأثار المعمارية الاسلامية للجزائر، وهذا البرج يُعرف لدى الجزائريين ببرج رأس تافورة ، ولقد لعب دورا بارزا سنة 1830م في منع الاسطول الفرنسي من السيطرة على المدفعية الجزائرية. (Delphin, 1904, p191)

مجلة التغير الاجتماعي *ISSN 2507-7473* المجلد السابع العدد 02 (2022) * ص93-106

بالمقارنة بالمجال الذي كان يتمركز فيه الأهالي، فإن التفاوت كان واضحا للعيان، فالتقسيم النطاقي للعمران جسد التفاوت والتناقضات التي كانت سائدة، إذ من جهة المراكز الكولونيالية المدعمة بمستلزمات الحياة كلها، من جهة ثانية مساكن الأهالي مفتقرة لأي تنظيم عمراني مشكلةً بذلك حزاماً بائسا ، وعلى هذا الأساس يمكن القول أن المجال الريفي، منذ الاحتلال وحتى بداية الاستقلال تطور عمرانياً لصالح المعمرين، من أجل تحقيق الحلم الاستيطاني" التعمير الديمغرافي العمراني" ، الذي طالما راود كثيراً من المخططين والمنظرين الذين شجعوا حتى مبدأ إجبارية بقاء المعمر، للحصول على الأرض والمسكن فتظهر قراءة سوسيولوجية لهذا الواقع ميزه انفتاح الإطار المبني الكلونيالي على العالم الخارجي، وهذا عكس ما كان سائدا من قبل ، فضلاً عن تموقع هذا الإطار في مناطق إستراتيجية دفاعية، لا تتداخل مع الإطار المبني التقليدي، فمن ضيع واسعة ومنازل ذات سقوف حمراء قرميد إلى القرى، كلها معالم كانت تظهر تقطعا وتمايزا مجاليا بين البيئة الاجتماعية للمعمر وبيئة الإنسان الريفي الجزائري، فقد مّثل الريف الجزائري حقل تجارب شيدت فيه بنايات سكينة ومرافق من نمط مخالف تماماً عن المألوف، فقد غمر المجال الكلونيالي المجال التقليدي المنغلق دون أن يكون هناك تداخل، فحافظ الأهالي على طابعهم السوسيولوجي للسكن، هذا الأخير لم يطرأ عليه تغيير إلا تحت الظروف القهرية، وفي مراحل لاحقة للاستيطان ، كانت أول ملامح التغيير في السكن التقليدي تغيير توطين الإقامة من الأعالي إلى المناطق السفلية الهامشية ، و حراك مجالي مرغم فرضته ظروف الحياة القاسية بحثا عن العمل،.نتج عن إنجاز المشاريع العمرانية المدعمة بالخرائط الطبوغرافية (فكار، 2013، ص294-295)

إذن هذه هي فرنسا التي جاءت لأجل نشر الحضارة نجدها تحاول بكل ما تسنى لها من تدبير وحيل من أجل إحلال العمران الأوربي محل نظيره الجزائري حتى تتأكد من أنها في عمق مدينة فرنسية أو قد صنعت امتدادا لبيئتها الطبيعية في الجزائر.

قد تعرضت القصبة للغموض والتشويه في بعض أقسامها خاصة في الفترة من 1830 م الى 1974م حيث صارت ابتداءا من 1830- 1840م ثكنة لقادة الحملة الفرنسية وتحولت بعض

أقسامها لتصبح مستشفى عسكري وفي 1844 شوهت الأقسام الوسطى وشق الطريق الرابط بين المدينة وحي الأبيار. (خلاصي، 2007، ص8)

■ الخاتمة:

لقد حارب الاستعمار الفرنسي كل ما هو جزائري من منطلق حقد استعماري دفين لا يفهمه إلا من عايش الوضع سنين الحرب في الجزائر، فقد أبدعت الإدارة الاستعمارية الفرنسية في انتهاج العديد من السياسات من أجل محو الشخصية الوطنية ومعالم المجتمع الجزائري فحاربت كل ماله علاقة بالوطن، شملت المخططات الاستعمارية كل مجالات الحياة العامة من جانب اجتماعي ، ثقافي، اقتصادي ...الخ، بل وخصصت لذلك رجالاتها المحنكين الأكفاء من أجل إنجاح العملية وكانت فرضية بناء مدينة أوربية في الجزائر أمر بديهي لديها كونها اعتبرت الجزائر مقاطعة فرنسية، قد يكون العمران الجزائري قد اصطبغ في يوم ما بما أراده الاستعمار له من تعابير جديدة وسيمات غربية لكن ذهينة الفرد الجزائري بقيت محافظة على ذلك الإرث الثوري الذي يدفعه للدفاع عن كل ما هو جزائري وله صلة بالوطنية .

▪ قائمة المراجع:

1. عبد الوهاب الكيالي (1985)،الموسوعة السياسية ،ج1،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت –لبنان.
2. يحي محمد نبهان (2006)،معجم مصطلحات التاريخ،دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، الأردن.
3. سعد زغلول فؤاد(1960)، عشت مع ثوار الجزائر ، دار العالم للملايين ، بيروت.
4. الهواري،عدي (ب ت)،الاستعمار في الجزائر، سياسة التفكيك الاقتصادي و الاجتماعي1830-1960م ،ترجمة جوزيف عبد الله ،دار الحداثة.بيروت.
5. مارسيل أجريتو(1959)،الوطن الجزائري،تر عبد الله أود، (د د ن)،(د ب ن).
6. أجقو علي، دريدي وفاء،منظومة التعليم القرآني في الجزائر الواقع التحديات واليات التفعيل ، المؤتمر الدولي الثاني لتطوير الدراسات القرآنية، جامعة الملك سعود ومركز تفسير الدراسات القرآنية،2014م-1436هـ،متاح على الرابط:http://tafsir.net
7. سعاد فويال(ب ت)، **المساجد الأثرية بمدينة الجزائر** ، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر.
8. عبد العزيز محمود لعرج(1990)،الزليج في العمارة الإسلامية بالجزائر في العصر التركي، منشورات عويدات، بيروت –لبنان.
9. كلثوم ميدان(2007-2008)، مدينة الجزائر الأوضاع الاجتماعية والثقافية والسياسية (1919-1939)،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر: مغرب أوربا وضفتي البحر المتوسط، إشراف بن يوسف تلمساني، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم التاريخ، جامعة بن يوسف بن خده الجزائر.
10. قريشي محمد(2001-2002)،الأوضاع الاجتماعية للشعب الجزائري منذ نهاية الحرب العالمية الثانية إلى اندلاع الثورة التحريرية الكبرى 1945-1954م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحدي والمعاصر ، إشراف بن سلطان عمار،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر.
11. توفيق صالحي(2008-2009)،المجتمع والعمران في مدينة سكيكدة خلال الحقبة الكولونيالية ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، تخصص تاريخ وحضارات البحر المتوسط، إشراف فاطمة الزهراء قشي، قسم التاريخ والآثار، جامعة متنوري.
12. سنوسي رفيقة(2010-2011)،أدوات التهيئة والتعمير بين التشريع والتطبيق –دراسة حالة مدينة باتنة- ،مذكرة مكلمة لنيل شهادة الماجستير في الهندسة المعمارية تخصص المدينة والمجتمع،إشراف بلقاسم ذيب، معهد الهندسة المدنية والري والهندسة المعمارية ، جامعة الحاج لخضر باتنة.
13. بن أشنهو عبد اللطيف،تكون التخلف في الجزائر1830-1962م،ترجمة مجموعة أساتذة،(د.د ن)،الجزائر،1979.

14. عثمان فكار(2013)،الاستيطان العمراني الفرنسي في الريف الجزائري مقاربة سوسيوتاريخية، مجلة جامعة دمشق،مج29 ،ع3+4، سوريا.

15. علي خلاصي(2007)، قصبة مدينة الجزائر،ج1، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع،الجزائر.

16- Jean Planchais (1990), Patrick Evens, La guerre d'Algérie dossier et témoignages, Harphonic, Alger.

17.Delphin. G(1904), Le Fort Bab-Azoun, in Revue Africaine, vol. 48.